

تشظي الذات والبحث عن الهوية
قراءة في ديوان " زمن بلا ذاكرة" لنادية نواصر

الأستاذة: غنية بوضياف

قسم الآداب واللغة العربية

كلية الآداب واللغات

جامعة محمد خيضر - بسكرة

ان الدارس للأدب النسوي يجده لا يملك شرعية الاعتراف به كأدب مستقل عما يكتبه الرجل، كما لا يجد له صيغة متفقة للمصطلح، إلا أن هذا الإلغاء لم يكن من الطرف الآخر المضاد/الرجل، بل تجاوزه ليكون من الكاتبات أنفسهن، ونحاول هنا البحث في علاقة ما تكتبه المرأة وإبداعها، ويهدف هذا العمل إلى متابعة الأسئلة المتعلقة بكتابة المرأة الشعرية مثل:

_ غياب / انكسار الذات الأنثوية

_ الهوية / التشظي

فدخل المرأة الجزائرية الجزائرية إلى عالم الكتابة في بداياته كان بأسماء مستعارة مما جعل العديد يشككون في هوية صاحب النص، وقد عبرت عن ذلك إحدى الناقدات تقول: (قبل سنوات مضت كانت المرأة التي تكتب في الصحف تعتبر خارقة لعباءة المجتمع وخارقة لأعرافه الاجتماعية كما كانت تلفت الأنظار بكتابتها وتميزها يشكك في هويتها بل قد يقال عنها إنها رجل متخفٍ باسم امرأة) 1

وقد جاءت المرأة إلى عالم الشعر فألفته في مستوى جديد من الإبداع والتلقي، محتفيا بالهم الانساني والذاتي والروبا المنشغلة بتفكير الذات وقلقها وأسئلتها.

وحين نعود إلى ديوان " زمن بلا ذاكرة" لنادية نواصر نجده يفرش اللون الأبيض ككفن يحيل إلى زمن الموت، فالبياض الذي يبسط على الذاكرة في هيمنة واستغراق كلي لهذا الزمن الشفاف الذي يعكس حقيقة الذات في مصيرها المحتوم (الموت) إذ يعد هذا الديوان ثمرة آهات عبرت بها الشاعرة عن وجعها معتمدة على الذات والذاكرة المفعمة بالكثير من الحميمية

تشظي الذات والبحث عن الهوية قراءة في ديوان " زمن بلا ذاكرة" لنادية نواصر / غنية بوضياف
التي كسرت فيها الشاعرة جدار الصمت بمساءلة عوالمها الدفينة ومحاولة تجاوزها بلغة
إبداعية كاشفة لكل زيف خارجي .

" فزمن بلا ذاكرة " خطاب مركب يرصد لنا شتات الذات وتجاوب الذاكرة والحاضر، إذ ترتبط
الذاكرة بزمن الشاعرة المتخيل. وإذا كانت الشاعرة تفصل بين الزمن والذاكرة في العنوان
باعتباره عتبة للحياة فإننا نجد جل قصائدها وليدة الذاكرة المرتبطة بالزمن والحافظة لماضييه،
ومن هنا يتحول الزمن إلى ذاكرة تغذي المخيلة، فالذاكرة هي العليمة بأسرار هذا الزمن المغيب
في ذات الشاعرة تقول في قصيدة: (الوجه الذي يسكنني)

أواه يسكنني وجهك الآن

تتوحد تقاسيمه في بهاء الروح

فيرسل شوقي إقراره

للقلب الطاعن في عشقك

ويقول أيا أيها النبض الجنوني

أطبق أوردتك على هذا المتريب بقلبي

وأعلن قانون الحجز عليه 2

إذ نجد الشاعرة تقرأ ذاتها وواقعها من خلال الزمن بأحداثه. فعلى الرغم من بعد الماضي إلا
أنه يسكنها في الحاضر، وبذلك يكون الزمن العصب الرئيس في فتح نزيف الذاكرة.

الأنتى / إلغاء الذات باللغة

القارئ لديوان نادية نواصر يجد لها قدرة لا متناهية في التعبير والبوح، إذ وجد الشاعرة
أمامها نصوصا تحتضن شكلا محددًا شكلت لها هاجس التفاعل معه والنسج على منواله
ملغية بذلك أنوثتها من خلال اللغة، فكتبت على نسق القصيدة النزارية تقول:

إذا مر يوم

وماقلت لي صباح المحبة

يزيد احتراقي ويزهر في التوق

كل اشتياقي 3

فمنطق الصور هنا تسيطر عليه النسقية الذكورية، فكأن نص المرأة مع الاستجابة للنسق
مجرد استتساخ لنص الرجل.

لتزيد الشاعرة في إلغاء العرف وتتغزل بلغة الرجل في قصيدة (عيناك سيدتي) تقول:

عيناك سيدتي

ألا اقتربي من الوهج

إلى متى أمطارك خجلي

ولا تثق بومضة البرق

وضربة الرعد

عيناك تغريني. 4

كما يمكننا ان نسلم علاقة الشاعرة بقصائد هذا الديوان بأنها علاقة صمت إذ نجدها تعاني

الصمت والقهر والجمود، فجاء شعرها يظهر الرغبة في البوح تقول:

عطشت أغاني الموج في كف الصداع

ها قصتي الصمت، وصمتي ثورة الصبح المباح

يا صوتها المخبوء من خلف الستار

يا صمتها المكسور

يا وجعا ونار 5

ثم يعود الصمت فيرتبط بالذات فنجدها تقول:

ويا نرف الذات المطعونة في عقر ذروتها

مالح طعم الصمت 6

كما نجد البحث عن تيقظ الآخر/ الرجل _ عن طلب بوجه _ وإظهار صوته يشكل هاجسا

ابدا عيا و مطلباً وجودياً تقول في قصيدة (إعلانات إلى رجل أحببته) وأهرب من وعي

ومن أحضان صحوي

إلى غفوتي

فصحو الصحو شقائي

وغفوة عشقك احتمائي بكذبة

و أكتب على جدار الروح

إعلاناتي إليك. 7

تشظي الذات والبحث عن الهوية قراءة في ديوان " زمن بلا ذاكرة" لنادية نواصر / غنية بوضياف
فتشظي الذات يظهر من العنوان وبالضبط في شبه الجملة الذي تهرب به الشاعرة من الواقع
ألى اللا واقع من الصحو إلى الغفوة لتجد ذاتها في اللا واقع المتخيل إذ يتجلى البوح ضد
الضياح إعلانا لمن يسكن الذات، فكأن من يسكن هذا الصميم لا يتجلى إلا بالبوح
تمرد الأنثى على السلطة الذكورية :

إن المتأمل لكتابة الأنثى يجد فيها حالة من التوتر مع السلطة الذكورية التي تجد لها دعما في
التبني الاجتماعي تقول :

إنهم يطلقون الرصاص على الشاعرة

إنهم يحرقون

شعرها

يسلخون جلدها ...

يقلعون أظافرها النائمة . 8

ففي هذه القصيدة تفصح الشاعرة عن بعض الاضطهاد الذي يمارسه المجتمع على الانثى
بصفة عامة وعلى الانثى المبدعة بصفة خاصة، فالمجتمع لا يعترف بالمرأة المبدعة
ويرفضها رفضا قاطعا، وعلى الرغم من محاولة الانثى التمرد والخروج عن السيطرة الذكورية
كونها الخصب والحياة إلا أن الشاعرة نادية نواصر لازالت تعيش تحت عباءة الرجل الذي لا
تستطيع العيش من دونه، وبذلك تلغي ذاتها بذاتها تقول:

إذا مرّ يوم

وما قلت لي بأنك أنثى

تموت جميع النساء بقلبي. 9

وهنا تتشظي ذات الأنثى في ديوانها وفق ثنائيات عدّه : الحلم/ الوجد - المكان/ اللامكان
- الحب/ اللا حب - الحياة/ الموت

فداخل مملكة الأنثى مملكة صاحبة على أسس اللغة والوطن والرجل فنادية نواصر تكتب
بهموم الانثى وأوجاع الوطن، وهذا ما يجعل المرأة المبدعة مراوغة للنسق في الكتابة التي كان
المجتمع يستهجنها و يثور ضدها لذا كانت مراوغتها مستمرة لتظفر بالاختلاف .

الهوامش :

- 1 . حسناء القنيعير، إشكالية المرأة والكتابة، مجلة قوافل، ع 4، نادي الرياض الادبي، 1995، ص 94,95 .
- 2 . نادية نواصر، ديوان زمن بلا ذاكرة، دار الهدى للنشر والتوزيع، 2007، ص 28
3. المصدر نفسه، ص 6
4. المصدر نفسه، ص 15
5. المصدر نفسه، ص 21
- 6 . المصدر نفسه، ص 77
7. المصدر نفسه، ص 46
8. المصدر نفسه، ص 49
9. المصدر نفسه، ص 6